الموقف الأول: معرفة الذات عن طريق الأنــــــا

نظرية " الوعي والاستبطان " أساس معرفة وتشكيل الذات

- ✓ **معرفة الذات عملية داخلية يطالعنا بها الشعور فالانا شخصي.**
- ✓ **إن معرفة الذات تكون عن طريق الوعي والاستبطان.**
- ✓ **ذلك أن الإنسان يعرف ذاته بذاته دون اللجوء إلى غيره.**
- ✓ **فمعرفة حقيقة الذات متوقف على تواصلها مع أناها (الوعي)**
- ✓ **فالوعي هو الذي يحدد معرفة الذات ويعبر عن حقيقتها**
- ✓ **أن الأنا يعيش مع ذاته ويحيا مشاريعه بنفسه وبطريقة حــرة أي كفــرد حــر.**
- ✓ **لا مجال لتدخل الغير الذي يعتبره أنصار النقيض بأنه عقبة لا بد من تجاوزها.**

ولهذه الأطروحة العديد من المناصرين من أمثال: السفسطائية، ديكارت، هنري برغسون، دوبيران، سارتر، هوسرل، علم النفس الاستبطاني، وغيرهم من الفلاسفة.

1- **موقف السفسطائيون:** " Sophistes "

حيث تذهب **السفسطائية** إلى التأكيد أن الانسان هو الذي يعي وجوده ويعرف ذاته بذاته لأنه معيار كل شيء، حيث قال بهذه الفكرة وتبناها قديما كل من **جورجياس** و **بروتاغوراس** من خلال قولهم: " **الإنسان مقياس كل شيء، فما يراه خير فهو خير وما يراه شر فهو شر** " أي أن المعرفة تابعة للذات و ليست مرتبطة بأمور خارجية.

2- **موقف سقراط:** " Socrate " (479 / 399 ق م)

يؤكد الفيلسوف اليوناني **سقراط** على أن **الوعي** (الشعور Conscience) باعتباره حدس نفسي هو **أساس** معرفة الذات، يمكن المرء من إدراك ذاته وأفعاله وأحواله النفسية، إدراكا مباشرا دون واسطة خارجية، كأن نشعر بالوحدة أو الخوف أو الفرح وغيره، وبواسطة هذا **الوعي** يدرك المرء أن له ذات مستقلة ومتميزة عن الآخرين. ومادام هذا **الوعي** ذاتيا والموضوع المراد معرفته هو الذات، لا دخل بالتالي للغير هنا في معرفة الذات، يقول **سقراط:" اعرف نفسك بنفسك"**

3- **موقف الفيلسوف الفرنسي ديكارت:** " Descartes " 1650م الفلسفة العقلية

يذهب الفيلسوف الفرنسي **ديكارت** إلى أن الذات الإنسانية تدرك نفسها بذاتها فهو القائل بنظرية **الوعي أساس تشكيل الذات**، هذه الفكرة نجده عبر عنها بمقولة **الكوجيطو "Cogito"**: (**أنا أفكر إذن أنا موجود**) = (**Je Pense donc je Suis**)، لأنه بالوعي تتحقق صفة الوجود الفعلي والحقيقي للإنسان (للذات) في هذا العالم، ووجود الإنسان بدونه يساوي العدم أو اللاوجود.

وما يؤكده في قوله كذلك أن الانا تعي ذاتها بذاتها وتدرك وجودها من تلقاء ذاتها، لذلك فالانا ليست في حاجة إلى وساطة الغير لتأكيد وجودها، ووعيها بذاتها حقيقة يقينية بديهية ـ **لا يمكن الشك فيها** ـ وليست في حاجة إلى وساطة الغير لإثباتها، مما يجعل **الأنــا** عند **ديكارت** حقيقة يقينية و**ذات** منعزلة مستقلة ومنغلقة، أما الغير فوجوده افتراضي احتمالي.

ومنه فجميع العمليات الذهنية كما يرى **ديكارت** من تخيل وتأمل وشك هي أشكال من التفكير التي لا تتوقف النفس عنها مادامت أنها تتطلب لزوما وجود **الذات**.

فالعائد إلى "تجربة **الكوجيطو**" **(أنا أشك، أنا أفكر، أنا موجود)** يلاحظ تواصل الذات مع ذاتها في الوقت الذي تنقطع فيه عن الآخر، فالذات مفكرة تعرف نفسها من خلال العودة إليها وتموقعها وتقوقعها على نفسها، فشعور "**ديكارت**" بهذه الوضعية التي كان فيها هي التي جعلته يقول: **(إنني شيء يفكر ويتخيل أيضا ويحس رغم أن الأشياء التي أحس بها وأتخيلها قد لا تكون شيئا خارج ذاتي)**

4- موقف الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون: " Bergson " بالفلسفة الروحانية

يؤكد الفيلسوف الفرنسي **برغسون** على أن الإنسان يشعر بذاته عن طريق **الحدس** أو **المعرفة المباشرة**، وبالشعور يتحقق الكائن الحي الواعي من وجوده في العالم، فالإنسان ليس كتلة من الغرائز كما هو الشيء لدى الحيوان، بل هو كائن واع لأفعاله، وعن طريقه يشعر بما يدور في ذاته من أفكار وعواطف وذكريات، وبه يدرك أنه موجود له ماضي ومستقبل، وأن العالم من حوله يوجد كذلك، وأن الأنا يتأسس كموجود بواسطته، ومن هنا لا يخرج الوعي عن أن يكون وعيا بالذات أو وعيا بالموضوع، وبالشعور يتحقق الكائن الواعي كوجود في العالم وذلك عن طريق **الحدس**.

وأكد الفيلسوف **برغسون** على أن **الحدس** وسيلة تسمح للذات بتمثيل نفسها عقليا لتشاهد ذاتها بذاتها فتتعرف على أحوالها وتتأمل فيما يعتريها من هزات وتقلبات، وبهذا **الحدس** تعي ذاتها كجزء، أي كخلية في النسق التاريخي المعين بالنظر إلى الإنسان الآخر، كمثيل له يرى فيه إنسانا، وها هنا تلعب اللغة دورا بارزا في تشكيل وعي الذات بذاتها من منطلق أنها الواقع المباشر للفكر.

ومنه بإمكان الانسان أن يعرف ذاته بواسطة **الاستبطان** (التأمل الذاتي) وهو ملاحظة داخلية لما يحدث في النفس، حيث ينقلب الإنسان إلى شاهد على نفسه، فيعلم أن له ذات حقيقية يبدو بها أمام الناس تختلف عنهم جسميا ونفسيا وأخلاقيا، يقول **برغسون:** {**النفس هي أنا، وأنا أدرى الناس بها**}

5- موقف الفيلسوف الفرنسي الآخر دوبيران: (1766/1824م)

وهذا ما يعبر عنه الفيلسوف الفرنسي **مين دوبيران** هو الآخر بقوله: **"قبل أي شعور بالشيء، فلا بد من ان للذات وجود"** فالإنسان يستطيع أن يتعرف على ذاته عن طريق الاستبطان أو التأمل الذاتي وهو ملاحظة داخلية لما يجري في النفس حيث ينقلب إلى شاهد على نفسه ليعلم أن له ذاتا حقيقية هي التي يبدو بها أمام الناس المخالفة للآخرين جسميا ونفسيا وأخلاقيا بواسطة اللغة

فالانا هو شعور الذات بذاتها، ويقول أيضا:" **أن الشعور يستند إلى التمييز بين الذات الشاعرة والموضوع المشعور به"** فشعور الإنسان **مثلا: بالحزن** هو شعور **ذاتي داخلي** لا يمكن للغير أن يحس به أو أن يشعر بنفس درجة شعوره هو به.

ويؤكد الفيلسوف الفرنسي مين دو بيران على أن الاحساس هو دائما إحساس بشيء وأن الاحساس لا يكون إلا إذا كانت الذات موجودة، لذلك يقول: ” قبل أي شعور بالشيء فلا بد من أن للذات وجود”.

6- موقف الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر: " Sartre " (زعيم المدرسة الوجودية)

وهو ما يؤكده زعيم **المدرسة الوجودية جان بول سارتر** من خلال مقولته المشهورة: " **الجحيم هم الآخرون** "، "**l'enfer c'est les autres**" فالغير يحد من حريتي، ومن إثبات ذاتي، وبما أن الإنسان حيوان عاقل فهو وحده يدرك ذاته بنفسه ويثبت وجوده دون الحاجة إلى غيره.

والانسان ايضا يمشي بناء على أحواله الداخلية كالأحوال العاطفية والوجدانية والانفعالية وهي أفعال تنبع من داخله ولا تأتي من الآخرين وقد أكد على هذا **سارتر** بقوله أيضا: **"إن الشعور هو دائما الشعور بشيء ولا يمكنه إلا أن يكون واعيا لذاته"**، وهذا ما يؤكد أن الوعي الداخلي للإنسان يتم بناؤه انطلاقا من نفسه لتحقيق معرفتها.

والتأمل والشك والوعي هي عوامل أساسية في معرفة الذات، ذلك أن هاته تعد صورا من صور التفكير ولا تفكير من غير أن أكون بالفعل موجودا.

5- موقف الفيلسوف الفرنسي مونتاني:

يرى **مونتاني** أن المعرفة الذاتية تتم فقط **بالوعي**، لأنها معرفة يقينية غير مزيفة، ولان الغير لا يستطيعون إدراك ما يدور في كياننا الباطني وهذا ما عبر عنه بقوله: **"لا أحد يعرف هل أنت جبان أم طاغية إلا أنت فالآخرون لا يرونك أبدا "**، وعليه فان **الوعي** هو الذي يحدد معرفة الذات.

7- موقف الفيلسوف الألماني هوسرل: (مؤسس المدرسة الظواهرية - الفينومينولوجية -)

يذهب الفيلسوف الألماني **هوسرل** الذي يعتقد بأنه يجب أن تكون الذات الشاعرة واعية لذاتها حتى يمكنها أن تعي الأشياء والعالم الخارجي حيث يقول: **" كل شعور هو شعور بشيء "**

يقول أيضا **إدموند هوسرل**: **{أنا أفكر في شيء ما، فذاتي المفكرة إذن موجودة}**، ومعناه أن الشعور لا يقوم بذاته وإنما يتجه بطبعه نحو موضوعاته، حيث أعطى بعدا جديدا للمبدأ الديكارتي **"أنا أفكر إذن أنا موجود"** وحوله إلى مبدأ جديد سماه **" الكوجيتاتوم "**

8- موقف الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس: (اب علم النفس الحديث)

يؤكد زعيم المدرسة **البراغماتية** الفيلسوف الأمريكي **"وليام جيمس"** أنه عن طريق **الشعور** يعرف الإنسان **أناه الفردية** والتي هي: **(مجموع ممتلكات الفرد، ولا تقتصر فقط على جسمه وقدراته النفسية، بل أيضا على ملابسه، زوجته، أولاده...)** لذلك يقول: **(عندما أفكر أشعر دائما بنفسي، أي بذاتي كلها مزدوجة، جزء معروف، وجزء عارف، جزء موضوعي، وجزء نسبي).**

وبمعرفته **لأناه الفردية** برأي **"جيمس"** يكون الإنسان قد توصل لإدراك **أناه الاجتماعية**، أي معرفة **الآخر** الذي يقع كطرف مقابل له، ومعرفة الصورة التي قد يكونها هذا الآخر عنه، وهكذا يكون حسب **"وليام جيمس"** حتى أن إدراك الآخر يبدأ من إدراك الذات.

9- موقف الفيلسوف الألماني غوتلايب فيخته: (176-1814م)

يتساءل الفيلسوف الألماني فيخته في كتابه الشهير: **(مصير الإنسان)** قائلا: **(كيف يمكن أن تحصل لي معرفة شيء ما والحال أن الشيء يجهل نفسه؟ ... إنني أحمل المعرفة في داخلي أنني كائن عاقل، وما أنا عليه أعرفه لأنني هو ...إنني ذات عارفة وموضوع، وهذه الذاتية الموضوعية، أي هذا الارتداد للمعرفة على ذاتها هو ما أقصده باسم الأنا...وأنني لا أستطيع حتى أن أتصور إمكان وجود وعي آخر غير هذا، فما إن أوجد حتى أجد نفسي).**

✓- النقد:

✓- لقد وفق أصحاب هذا الطرح في عرضهم هذا خاصة وأنهم بيّنوا لنا:

- كيف أن الذات تستطيع التعرف على ذاتها من خلال وعيها وشعورها بأناها.

✓- لكن ما يعاب عليهم أنهم بالغو كثيرا فيما ذهبوا إليه خاصة وأنهم اختزلوا دور الأخر:

- نجد أيضا **المنهج الاستنباطي** أو **التأمل الذاتي منهج غير موضوعي:**
- فهو معرفة ذاتية ضعيفة من الناحية العلمية لأنها متحيزة وقاصرة وخالية من النزاهة.

- فمقياس الصدق هنا: هو الشخص ذاته لأنه هو الملاحظ.
- والملاحظ عندما يتأمل نفسه يبوح بالأشياء الحسنة ويخفي الأشياء السيئة المستبطنة.
- وبالتالي من المبالغ فيه رد معرفة الذات إلى الوعي فقط. لهذا يقول أوجست كونت A. Comte :
" **إن الذات التي تريد رؤية ذاتها كالعين التي تريد رؤية نفسها** "

✓- **موقف الفيلسوف** أفلاطون:
✓- أن الوعي كمؤسس للانا قد يوقع الانسان في مغالطة مع نفسه.
- إذ الماهية التي يشكلها وعيه حولها تكون خادعة
- ولهذا تساءل أفلاطون قديما حول هذه الحقيقة في **أسطورة الكهف** المعروفة:
حينما قال: " إن ما يقدمه لنا الوعي ما هو إلا ظلال وخلفه تختبئ حقيقتنا كموجودات "

✓- **موقف الفيلسوف فرويد:** S.Freud(1856- 1939) (طبيب أعصاب نمساوي ومؤسس مدرسة التحليل النفسي)
✓- يرى **سيغموند فرويد** أن معطيات **الشعور** ناقصة جدا وأن الكثير من الأفعال تصدر عنا.
- ولا نعي أسبابها مثل: **الأحلام** و**النسيان** و**فلتات اللسان**، فالحياة النفسية تبقى غير مفهومة
- **لأن** الحالات **اللاشعورية** لا يمكن فهمها وبالتالي كل أفكارنا وردود أفعالنا هي نتاج تربية أكرهنا عليها من طرف الوسط الاجتماعي والعائلي يقول **فرويد** في هذا الصدد: "**ليس الانا سيد في بيته**"
- فالوعي إذا ليس الوسيلة الوحيدة لمعرفة الذات، لأن **الحياة النفسية** مزيج بين:
الشعور و**اللاشعور** مثلما أكده علم النفس الحديث على يد **فرويد**

✓- **موقف الفيلسوف الهولندي سبينوزا: (1632 - 1677)**
- اعترض **سبينوزا** في ذات السياق على تفسير الذات بالشعور(**الوعي**)
- فوصف الشعور بالوهم والمغالطة
- واعتقاد الناس بأنهم **أحرارا** في تصرفاتهم و**باستقلالية** أفعالهم
- **برأيه** ظن خاطئ لعدم وعيهم بسلطان رغباتهم وشهواتهم
- ولأنهم لا يعلمون شيئا عن الأسباب المتحكمة والموجهة لشعورهم
- **ومثاله في ذلك:** السكير الذي يتوهم انه يتحدث عن وعي وعن إرادة حرة **صادرة عن ذهنه**
في موضوعات يتجنب الحديث عنها في حالة صحوه، وكان يود ألا يقول عنها شيئا.
ولكنه في الواقع هو تحت تأثير الخمر ولا يعي ما يقول.
✓- صحيح أن لـ: **الأنا** دور في تأسيس ذاته ولكن نلاحظ بأنه قاصرا في إدراكها والتعرف عليها
- **فكل** محاولة لمعرفة ذاتنا من خلال وعينا بذاتنا تبدو مهمة مستحيلة وغير مجدية.
- أحيانا **يعتقد** الإنسان خطا أن وعيه قادر على معرفة ذاته فيقع في مغالطة مع نفسه
- وبالتالي أي صورة يشكلها وعيه حول ذاته تكون مخادعة وخاطئة ومخيبة.
- مما يستلزم أن نطلب معرفة ذواتنا من خلال وجهة نظر غيرنا الذي يقابلنا ويغايرنا ويناقضنا
- لان حكم الغير علينا رغم عدم دقته إلا انه يعتبر خطوة ضرورية في بلورة صورة مميزة عنا
- إذ ليس في مقدور الأنا دائما التحكم في ذاته وتسييرها في جميع الأحوال ففي ذلك قصور.